

العوامل السوسولوجية المؤثرة في تأخر الزواج لدى الشباب الجزائري

الأستاذ/ جمال حواوسة

مقدمة:

يعتبر الزواج كمارسة اجتماعية من أقدم النظم التي عرفتها البشرية، وحثت عليها الأديان السماوية، من ذلك الدين الإسلامي الذي رغب في الزواج لأنه من سنن الأنبياء وهدى المرسلين، قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً) سورة الرعد، الآية: 38، وفي حديث للترمذي عن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أربع من سنن المرسلين: الحياء، والتعطر والسواك والنكاح»¹، ومن هنا وضع الإسلام أُسساً يقوم عليها في الاختيار للزواج، حفاظاً على قيام أسرة صالحة ونسل طيب صالح.

ويعد الزواج أيضاً المدخل الرسمي لتكوين الأسرة من الوجهة الشرعية حيث يرى عامر عبد العزيز أن الزواج في ديننا الحنيف ليس فرضاً كالصلاة والصوم، ولكنه مستحب، أو سنة مؤكدة، إذا كان الإنسان قادراً عليه، وعلى نفقاته المالية، واثقاً من إقامة العدل في معاملة الزوجة².

والزواج بمفهومه الاجتماعي يحمل معنى استمرار الأسرة واستقرار العلاقات الاجتماعية والجنسية بداخلها³، وهو من أهم الأحداث الثلاثة الكبرى في حياة الإنسان: الميلاد، الزواج، الموت.

أما الميلاد والموت فهما شيخان خارجان عن إرادتنا، لكن الأمر ليس كذلك فيما يتعلق بالزواج، فالإنسان هو الذي سيقدر بمن سيتزوج.

ومن الواضح أن أهم قرار في الزواج، هو الاختيار، فنحن نعيش في عصر الاختيار، ذلك أن الإنسان في حياته اليومية يختار نوع طعامه وشرابه، وملبسه وتعليمه، وعليه أن يختار أصدقائه، وهو أيضاً مطالب باختيار شريك الحياة وفق مقاييس وصفات محددة، فنحن نسلك طريقة معينة حين نكون بصدد الاختيار الذي يعتبر رد فعل

¹ - سامية منسى، المرأة وتنظيم الأسرة في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996، ص 15.

² - عبد العزيز عامر، الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية فقها وقضاء، دار الفكر العربي، القاهرة، 1984، ص 312.

³ - MELMUT Scelsky, **Sociologie de la sexualité**, Galliarord, Hambourg, 1966, p 43.

العوامل السوسولوجية المؤثرة في تأخر الزواج لدى الشباب الجزائري

أ. جمال حواوسة

شخصية بكاملها لموقف برمته، وكل ذلك يتأثر إلى حد كبير بالثقافة السائدة في المجتمع. ومن هنا تقوم فكرة الاختيار في الزواج على سؤالين: من الذي يختار؟ ومن الذي يقع عليه الاختيار؟⁴.

وبعبارة موجزة فإن الاختيار للزواج هو أهم خطوة في حياة الإنسان، وهو أمر يعني الرجل والمرأة معاً، وسلوك اجتماعي لا يتحدد فقط برغبات الفرد بل وفق معايير المجتمع وقيمه سواء كانت هذه المعايير والقيم واضحة جلية كالتحريم والإباحة أو مستترة في شكل توقعات يسير في فلکها الاختيار للزواج بشكل معين.

ومن بين معايير الزواج نجد السن الذي يعتبر عاملاً بيوسوسولوجياً فعالاً في الاختيار، وعاملاً من عوامل فشله أيضاً، حيث تشير بعض البحوث إلى أن من عوامل فشل الزواج التفاوت العمري بين الزوجين أياً كان مصدره عموماً، وفي حالة كون الزوجة هي الأكبر عمراً من الزوج بوجه خاص¹، كما أن تقدم الفتيات في السن يقلل من احتمالات تقدم الراغبين في الزواج لخطبتهن حيث وجد Buss في دراسة له على 37 عينة من 33 بلداً، أن الذكور يفضلون الزواج بإنات أصغر منهم عمراً، بينما تفضل الإنات أن يكون الزوج أكبر منهن سناً². ويبدو أن تفضيل الذكور للزواج بإنات أصغر منهم سناً يتمتع بدرجة عالية من العمومية والثبات وكلما زاد الإنات في السن، فإن ميل الذكور للزواج بمن يقل.

وعليه فإن السن معيار هام في الزواج، غير أن ما نلاحظه في المجتمع الجزائري هو ارتفاع نسبة العنوسة وتأخر سن الزواج بالمقارنة مع السنوات الماضية كفترة السبعينات والثمانينات، وربما هذا راجع إلى عدة عوامل وأسباب أفرزتها التغيرات السريعة الحاصلة في المجتمع، ومن هنا فالإشكالية التي تسعى هذه الدراسة لاستجلائها هي: ماهي العوامل الاجتماعية المؤدية إلى تأخر سن الزواج لدى الشباب الجزائري؟.

أولاً- الزواج في المجتمع الاسلامي:

الزواج هو تلك العلاقة الاجتماعية الوحيدة الدائمة بين الرجل والمرأة التي يباركها الله، لأنها الأساس الشرعي السليم لتكوين الأسرة خلية المجتمع الأولى...³.

وإذا كان علماء الاجتماع وعلماء النفس قد تناولوا موضوع الاختيار للزواج ووضعوا له الكثير من النظريات والأسس التي يبنى عليها الاختيار السليم، فإن الشريعة الإسلامية اعتنت هي الأخرى بعناية كبيرة بالخصال المرغوبة في اختيار الشريكين للزواج، والتي من بينها التدين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «

⁴ - سناء الخولي، المدخل إلى علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998، ص 219.

¹ - HALL. Q, ZHAO. J, Cohabitation and divorce in Canada : testing the selectivity hypothesis, Journal of Marriage and the family, 57, 1995, p 421.

² - BUSS. Q, Sex differences in human mate preferences : hypothesis tested in 37 cultures, Behavioral sciences, 42, 1989, pp 1-49.

³ - عبد الرحمن محمد السيد، دراسات في الصحة النفسية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، القاهرة، مصر 1998، ص 11.

تنكح المرأة لأربع، لمالها، ولحسبها، وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»⁴، وترتبت يداك تفيد الحث والتحريض، وهذا الحديث يشمل صفات أخرى مستحبة إذا اقتربت بالدين، كالمال والحسب والجمال... الخ. ولقد نهى بعض العرب الزواج بعشرة أنواع من النساء وهي: الأنانة: التي تكثر الأنين والتشكي، والمنانة: التي تمن على زوجها، فتقول له فعلت لأجلك كذا وكذا، والحنانة: التي تحن إلى زوج آخر، أو ولدها من زوج آخر، والحداقة: التي تحقد في كل شيء فتشتهميه، وتكلف الزوج شرائه، والبراقة: وتحتمل معنيين: إما كثرة تزيين الوجه وتحسينه أو الغضب عن الطعام، والشداقة: وهي الثرثرة، كثيرة الكلام، والمختلعة: التي تطلب الخلع أي الطلاق كل مرة دون سبب، والمبارية: المفاخرة، والمباهية بأسباب الدنيا، والعاهرة: الفاسقة، التي تعرف بخليل وخذن، وهي التي قال الله تعالى فيها: «... وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ...» سورة النساء، الآية: 25، وأخدان: جمع مفردة خدن، وتطلق على المرأة والرجل وتعني الصديق في السر، وكذلك الناشز: التي تتناول على زوجها وتنفر منه.

ومن الصفات التي حث عليها الإسلام في اختيار الزوجة نجد الجمال، حيث أقر الشرع النظر إلى المرأة قبل اتخاذ القرار للزواج بها، والنظر هنا يعطي صورة واضحة عن جمال المرأة حيث روى ابن ماجة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة، فلينظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينهما »¹، ويؤدم بينهما يعني يؤلف بينهما، ويقول الإمام الأعمش رحمه الله: "كل تزويج يقع على غير نظر فأخره هم وغم"، كما نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن اختيار المرأة التي تتمتع بالحسن والجمال ولكنها من أصل غير طيب، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إياكم وخضراء الدمن، قيل يا رسول الله، وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء »².

ويستحسن الإسلام أيضاً اختيار المرأة الولود، حيث يقول صبحي الصالح: "إن أهم غرض من أغراض الزواج هو إنجاب الذرية، وإبقاء الجنس الآدمي، فلم تخلق الشهوة الجنسية إلا لتكون باعثة مستحثة على اقتناص الولد"³. وعن عياض بن غنيم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا تزوجن عجوزاً ولا عاقراً، فإني مكاتر بكم الأمم »⁴.

⁴ - أحمد ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب الأكفاء في الدين، دار الكتب العلمية، ج9، ط3، بيروت، لبنان 2000، ص 136-164.

¹ - الحافظ العراقي المتوفى سنة 806 هـ - المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار، مطبوع على هامش إحياء علوم الدين، مطبعة نشر الثقافة الإسلامية، 1356هـ، ص 128.

² - المرجع نفسه، ص 132.

³ - الصالح صبحي، المرأة في الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان 1980، ص 28.

⁴ - عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، التجارية الكبرى ج6، 1359هـ، ص 397، والحديث رواه الطبراني وصححه الحاكم، وقال الهيثمي: ضعيف.

ويستحسن في الإسلام ألا يكون الشريك من القرابة القريبة حيث أثبت الطب الحديث أنه في حالة القرابة نادراً ما ينجو الأطفال من الأمراض أو العيوب الموروثة من الأب أو الأم أو أسرة الأبوين، وليس معنى هذا أن هناك ما يمنع أن يتزوج الشاب ابنة عمه، أو ابنة خاله، وإنما كل ما يريد الإسلام التأكيد عليه هو البعد عن تسلسل الزواج في دائرة ضيقة يسوده دم واحد.

ومن هنا فإن الاغتراب في الزواج لا يحقق نتائج صحية طيبة فقط، بل إنه أيضاً يحقق آثاراً اجتماعية في غاية الأهمية، وهي خلق صلات جديدة تنشأ عن ذلك الزواج¹.

هذه هي أهم الصفات أو الخصال المرغوبة في الاختيار للزواج في الإسلام، وبقي لنا أن نتحدث الآن عن أسلوب الاختيار الذي هو مزيج بين الأسلوب الذاتي والأسلوب الوالدي، فالفتى له حق اختيار زوجته، كما للفتاة حق إبداء رأيها في أمر زواجها بالقبول أو الرفض، ورضاها شرط أساسي لإتمام الزواج، فعن أبي سلمة أن أبا هريرة حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا يا رسول الله وكيف إذن؟ قال: أن تسكت »².

ولا يسمح الإسلام بأن تكره الفتاة على الزواج بمن لا تقره. وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأسس في حادثة الفتاة المسلمة التي وفدت على عائشة رضي الله عنها، تشكو إليها أن أباهما زوجها من ابن أخيه ليرفع بها خسيسته... وحين يدخل النبي صلى الله عليه وسلم، يبعث بمن يستقدم له أباهما، ويلومه على ما فعل، ويترك للفتاة حرية القبول أو الرفض... فتقول الفتاة: يا رسول الله، قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء³.

ويوضح ابن القيم الجوزية رحمه الله في كتابه «أعلام الموقعين» حق المرأة في قبول الزوج أو رفضه بقوله: "إن البكر العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها في أقل شيء من ملكها إلا برضاها، ولا يجبرها على إخراج اليسير منه، فكيف يجوز له أن يتصرف فيها دون رضاها؟ ومعلوم أن إخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لا تريد"⁴. "ومع أن الوالي لا يستطيع تزويج امرأة إلا برضاها، فقد أجمع أصحاب المذاهب على استثناء حالة واحدة، تلك إذا خيف على المرأة الفساد، فللولي حينئذ الحق في إجبارها على الزواج حتى تكون في عصمة زوج، يقوم عليها، فتنتفي حينئذ حجتها لطلب الفساد"⁵.

¹ - أحمد شلي، الحياة الاجتماعية في التفكير الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر 1968، ص 41.

² - العسقلاني، باب: لا ينكح الأب أو غيره البكر والثيب إلا برضاها، مرجع سابق، ص 239.

³ - ماجد سليمان دودين، الطريق إلى السعادة الزوجية، دار الإسراء للنشر والتوزيع، 1994، ص 9.

⁴ - ابن القيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، إدارة المطبعة المنيرية، ج1، دون سنة، ص 269.

⁵ - الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، العثمانية المصرية، ج6، 1357هـ، ص 120.

ومن هنا نستشف أن الإسلام يتخذ موقفا وسطا، فيما يتعلق بأسلوب الاختيار، فهو لا يلغي رأي الأبناء، بل يعطي لهم قدرا كبيرا من الحرية في القبول أو الرفض إذا لم تتوفر الخصال المناسبة في الشريك، وفي نفس الوقت يجعل الآباء يتدخلون في الزواج الذي ينجم عنه الفساد.

ثانياً- الزواج في المجتمع الجزائري:

يعتبر الزواج أهم حدث في حياة العائلة الجزائرية، سواء في البنية العائلية التقليدية أو المعاصرة، ولقد كان الأهل يعتقدون أن اختيارهم للشريك من عائلة متصاهرة أو قريبة يعني الحفاظ على روابط أقوى مع أبنائهم، ولهذا كانت فترة اتخاذ القرار للزواج فترة حادة من الصراع بين الأهل والأبناء من ناحية الصفات المرغوبة في الزوجين، أو ظروف إقامتهما... الخ.

وبعد أن يتم الاختيار، ويتخذ القرار بالاشتراك مع الأهل، وبعد الإنفاق على شروط الزواج وتلبيتها، شروط على شكل هدايا من جواهر ذهبية، ومهر، وصوف لصنع الأفرشة، وهناك شروط أخرى لا يمكن تحديدها وهي الترتيبات المادية (أثاث، أدوات إلكترومنزلية، وتسهيلات أخرى للخطيبة)، فظروف الزواج هذه التي من الصعب دائما تلبيتها نظراً لميزانية الجزائري المتوسطة، تدل على رجعية العائلة المعاصرة ضد التطور الاجتماعي الشامل الذي يسير نحو تحسن وضعية الفرد¹.

وكان المنطق التقليدي للأسرة الجزائرية يجعل الابن دائماً مطالباً بأن يستمر في العيش تحت سقف العائلة الأبوية بعد زواجه، كما يجب على البنت أن تترك هذا السقف وتنقل إلى عائلة أخرى، غير أن هذا المنطق بدأ يفقد شيئاً من قيمته، ويأخذ طابعاً جديداً، حيث أصبح كل من الابن والبنت بعد زواجهما يفضلان بناء مسكن مستقل بعيد عن العائلة.

إن تقلص حجم العائلة وظهور وسائل الإعلام، قد أثر إلى حد ما في سلوك الأفراد واختياراتهم للزواج، حيث شهد المجتمع الجزائري وتحت تأثير الإذاعة والتلفزيون ممارسات وتصورات جديدة أثناء عملية اختيار الشريك. تتم وفقاً لتداخل مزدوج بين القديم والحديث، فمن القديم تستلف العائلة كل المراسيم وكل الخطوات، ومبادئ التقوى والتدين، كما تستعين وتلجأ بكثرة إلى الأنساب، وحسب العائلة الماضي... ومن الحديث تستلف العائلة كل المزايا المادية والنفسية، على الخطيبين أن يكونا متفقيين على الزواج، وبإمكانهما أن يتقابلا بعض المرات قبل الزواج، والحصول على سيارة فخمة وكل اللوازم المنزلية، كما أنه بإمكان الزوجين الذهاب في رحلة لقضاء شهر العسل، وترتدي العروسة ثوب العروس على الطريقة الغربية...².

عرف المجتمع الجزائري في أغلب المناطق أسلوب الاختيار الوالدي، حتى أنه في معظم الأحيان لا يتعارف الزوجان على بعضهما إلا في ليلة الزفاف، ولم يكن للحب أو التفاهم أية أهمية، وهذا ما يؤكد عليه فرانز فانون قائلاً:

¹ - مصطفى بوتفوشة، العائلة الجزائرية، التطور والخصائص الحديثة، ترجمة دمري أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 308.

² - المرجع نفسه، ص 309.

" يقرر الزواج بصفة عامة بين الأسر، وبصورة دائمة تقريبا يرى الزوج وجه زوجته بمناسبة الزفاف"³. ومن هنا فإن الاختيار للزواج في الماضي يتم عن طريق الأهل، فهم يرتبون له مسبقاً، ويميلون إلى اختيار شريك من الأقارب أو من نفس المكانة أو الطبقة الاجتماعية، حيث توصل بعض الباحثين في دراسة أجريت سنة 1971 بمنطقة القبائل إلى هذه النتيجة: "كنا مقتنعين ونحن في بداية البحوث بأن الزواج اللحمي* كان معتاداً، ولقد كانت دهشتنا كبيرة عندما وجدنا بأن الميل إلى هذا الزواج كان في الواقع معدوماً وأن عدد الارتباطات بدا قليل الأهمية في عائلة الأم منه في العائلة الأبوية"¹.

لقد كان النمط الحياتي التقليدي للأسرة الجزائرية المتسعة يسيطر على أفرادها سيطرة كلية، ويحافظ على الروابط القرابية بدرجة كبيرة، حيث يجد الفرد نفسه مشدوداً إلى العائلة، ويصعب الابتعاد عنها. كما يحاول الرجل، كأب وزوج مثالي، دائماً بأن يتصدر ويلعب دور المسئول عن كل أعمال وحركات كل واحد من أفراد العائلة، في حين أن بعض هؤلاء الأفراد يخرجون عن سلطته، ويحصلون على استقلال ذاتي...²، أي أن الأب الجزائري يحافظ على مكانته المركزية داخل العائلة، وهذه المكانة تزداد شدتها وتظهر بصفة أكثر في العائلة المتسعة. أما حالياً وضعية الأسرة تختلف عن السابق بحيث أصبح نصيب الأولياء في التدخل في شؤون الزواج ضعيفاً، بل هناك اتفاق بين الزوجين قبل أن يتفق الأولياء، ويعتبر هذا اتجاه وأسلوب جديد³. يعتمد على الميل أو القبول العاطفي المتبادل بين الشاب والفتاة المقبلين على الزواج.

إن التحول الذي نلمسه في العائلة الجزائرية اليوم، وسيادة الروح التحررية والاستقلالية المادية، وتعليم الفتاة، وخروج المرأة للعمل... الخ، كل هذا لعب دور المحرك في عملية الاختيار للزواج، حيث أصبحت الفتاة الجزائرية مستقلة تماماً في اختيار شريك حياتها، بعدما كانت في الماضي تخضع لسيطرة الأسرة بكاملها، حيث يقول فانون فرانز: " إذ لا يستطيع أي شخص أن يقرر زواج فتاة ما لم يكن هذا الشخص هو أبوها، وفي غياب أبيها عمها أو أخيها"⁴. أي أن تدخل الأهل في الاختيار لأبنائهم يشمل الذكور كما يشمل الإناث.

وفي الحقيقة هناك حالات يكون فيها الشاب والفتاة مصممين على اختيار الشريك المناسب وفقاً لرغباتهما ومقاييسهما الخاصة. ففي الجزائر حالياً ينطلق الشباب من فكرة الاختيار الحر أو الأمثل للزواج المبني على الحب والتجانس العاطفي، وفي هذه الحالة إذا لم يغير هؤلاء الشباب من آرائهم وأفكارهم الفردية يصبح الصراع مفتوحاً بين الأهل والأبناء، والذي تكون فيه الكلمة الأخيرة عادة للأبناء الذين يستعملون كل الإمكانيات لإقناع الأهل.

³ - فرانز فانون، سوسولوجية ثورة، ترجمة قرقوت دوقان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1970، ص 115.

* الزواج اللحمي: شكل من أشكال الزواج، لا يسمح للأفراد إلا بالتزوج من نفس الطبقة الاجتماعية.

¹ - BASAGANA. R, SAYAD. A, **Habitat traditionnel et structures familiales en Kabylie**, Alger, CRAPES, 1974.

² - مصطفى بتفونشت، مرجع سابق، ص 310.

³ - عائشة بن قطيب، التحضر وبناء الأسرة الجزائرية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الجزائر، 1992، ص 195.

⁴ - فرانز فانون، مرجع سابق، ص 115.

أما عن سن الملائمة للزواج فقد حددت بالنسبة لقانون الأسرة الجزائري من المادة 07 كما يلي: "تكتمل أهلية الرجل في الزواج بتمام (21) سنة، والمرأة (18) سنة، وللقاضي أن يرخص بالزواج قبل ذلك لمصلحة أو ضرورة"⁵، كما أن الأولياء في الماضي يفضلون صغر سن الزوج والزوجة، لأن الزواج آنذاك يبدأ في سن مبكرة، والتعليم غير ضروري، وبالتالي لا توجد هناك أية عقبة تمنع الزواج المبكر، أما الآن ونتيجة للتغيرات السريعة التي مست مختلف جوانب الحياة كخروج المرأة للتعليم والعمل، وانتشار استخدام عناصر التكنولوجيا ووسائل الإعلام والاتصال بصفة عامة، وزيادة نسبة التعليم العالي، ظهر تأخر في سن الزواج إذا ما قورن بالسنوات الماضية، ولاسيما عند طلبة الجامعة بسبب طول فترة التعليم، لأن معظم النظم التعليمية الحديثة الآن لا تتم مراحل التعليم فيها قبل سن العشرين.

نستخلص مما سبق أن الاختيار للزواج في المجتمع الجزائري قائم على العلاقات داخل العائلة بين الآباء والأبناء، وبين الذكور والإناث، كما أنه خاضع لتلك التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تمر بها الأسرة، والتي دخلت في صراعات غير منتهية أفرزها الواقع الاجتماعي الجديد، حيث غلب على أفرادها النزعة الفردية والميول الذاتية البعيدة عن قيم وعادات وأهداف الأسرة والجماعة.

ثالثاً- عوامل وأسباب تأخر سن الزواج:

إن ما نلاحظه اليوم في المجتمع الجزائري هو تأخر سن الزواج وانتشار العنوسة، حيث بلغ سن الزواج مؤخراً الثلاثين أو يفوق، وهذا يؤثر حتماً على نفسية الفرد، ويؤدي إلى انتشار مظاهر الفساد والانحلال الخلقي. وعندما نتحدث بلغة الأرقام في بعض البلدان العربية فإن الأرقام تفرعنا، ففي مصر 09 ملايين عانس وأعزب، تقابلها الجزائر بثلاث تعادها عوانس وعزاب، والإمارات 68 %، والسعودية وقطر، والأردن، ولبنان، والكويت، وفلسطين 26 %.

وهذه المشكلة ليست اقتصادية فقط، والقول بأن المغالاة في المهور في الجزائر هو السبب لا يفسر وحده انتشار هذه الظاهرة، فهناك عائلات ذات مستوى مادي مرتفع، وفيها تأخر كبير في سن الزواج، كما أن الكثير من الشباب الجزائري يسافرون للسياحة في دول أوروبا والخليج، وينفقون الكثير من الأموال هناك، ثم يعزفون عن الزواج لارتفاع تكاليفه!.

إن تأخر سن الزواج مشكلة يمر بها الكثير من الشباب والفتيات، حيث تشير الدراسات الاجتماعية إلى أن هذه المشكلة من الممكن أن تترك آثاراً سلبية بالغة على الفرد والمجتمع، فهي شبحاً يخشاه الشباب بصفة خاصة و

⁵ - قانون الأسرة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2001، ص 3.

¹ - هل تأخر سن الزواج أسبابه اقتصادية فقط؟، الموقع: <http://zawaj.roro44.com/zawaj-2-29-0.html>، يوم: 2010/04/08.

الأسرة والمجتمع بصفة عامة. ولكن المشكلة الكبرى أن ينظر لتأخر سن الزواج من منظور واحد، أو أن يفسر على أساس سبب واحد، وإنما تعدد الأسباب وترابطها وتشابكها هو ما يزيد المشكلة تعقيداً ويمكن إجمالها في:

1- الأسباب الاجتماعية:

ويمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

- غياب المفهوم الصحيح للزواج في حد ذاته كسكن ومودة ورحمة، قبل أن يكون شكليات ومظاهر، قال الله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) سورة الروم، الآية: 21.

- نقص الوعي والوازع الديني داخل الأسرة كمؤسسة اجتماعية، فالوعي الديني يعطي أهمية كبيرة لمؤسسة الأسرة وبناء الأسرة بالزواج ويدعو الشباب للإسراع في تكوين أسرة ليسود المجتمع العفة والطهارة والأمن والأمان والفضيلة، وما نعانيه اليوم في مجتمعنا هو نتيجة لضعف الوازع الديني لدى الشباب فلا يتورع أن يجد متعته خارج العلاقة الشرعية. كذلك نقص الوعي المجتمعي، ففي السابق كانت الفتاة تتزوج في سن صغيرة أما اليوم فهي مطالبة بأن تكمل تعليمها أولاً مما يعطيها فرصة أكبر للنضج من أجل بناء أسرة متكاملة تقوم على تربية الأجيال¹.

- عدم فهم الحياة الأسرية فعلى الرغم من ارتفاع مستوى التعليم إلا أن التطور الفكري لم يساير التطور العلمي خاصة المرأة حيث إن الفتاة تتعلم وتعمل ثم تقدم نفسها كبضاعة يجب أن يدفع فيها مهر مرتفع وأثاث فاخر مما يؤدي إلى فشل هذه الزيجات قبل إتمامها وبهذا نجد أن تأخر سن الزواج سبب ونتيجة للتعليم العالي في نفس الوقت حيث إن أصحاب الشهادات العليا تكون نظرهم للأمور مختلفة عن ذوي المؤهلات المتوسطة... ولحل هذه المشكلة يجب أن نعود إلى الثوابت الاجتماعية السليمة في مجتمعنا كما يجب البعد عن العشوائية في التفكير التي تسبب العديد من المشكلات.

- انتشار العادات والتقاليد الخاطئة في بعض مناطق الجزائر (العروش) والتي عفي عنها الزمن من قدمها والتي تؤثر تأثير كبير في تأخر سن الزواج، ومنها انغلاق بعض الفئات أو القبائل على أنفسهم ومنع بناتهن من الزواج من الأعراب، والأعراب ليسوا من نفس العائلة أو العرش، أو لا تربطهم بهم صلة دم أو نسب، حتى وإن كان الشخص المتقدم لهم بالزواج تتوفر فيه جميع مواصفات الزوج الذي يتمناه كل أب لابنته.

- ارتفاع المهور على اختلاف أشكالها، مما أدى إلى عزوف الكثير من الشباب عن الزواج، وهذا يعتبر ظاهرة معتلة وشيء غير طبيعي لا يتماشى مع الشرع الإسلامي الذي يؤكد على أنه كلما كان المهر قليلاً، كلما كان الزواج مباركاً. فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة »²، كما أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقدمون المهر حسب قدراتهم سواء كان ذلك مالاً أو أشياء رمزية.

¹ - ظاهرة تأخر سن الزواج في المجتمع الليبي، استطلاع و تصوير: فتحي حسن كويري، موقع المنارة للإعلام:

http://www.almanaralink.com/new/index ، يوم: 2010/04/08.

² - السيد سابق، فقه السنة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج2، ط2، بيروت، لبنان 1998، ص 109.

وهنا ينبغي أن نضع في اعتبارنا أن التحولات الكبرى التي فرضتها عملية التغير الشامل في المجتمع الجزائري قد جلبت معها تغيرات أخرى مختلفة مست بناء الأسرة الجزائرية وقيمها، حيث أصبح شكل المهر كقيمة اجتماعية يختلف من شخص لآخر، فهناك من يفضل أن يكون شكل المهر عبارة عن هدايا أي: مهر رمزي، بينما يفضل الآخر المهر في شكل مبالغ مالية.

- غياب دور الأسرة، وخاصة الوالدين في توعية أبنائهما، وتربيتهم على تحمل المسؤولية، وتفهم معنى الزواج، وإعداد أبنائهما وبنائهما للقيام بهذا الدور.

- غياب دور المؤسسات الاجتماعية والهيئات غير الحكومية في محاولة إيجاد حلول عملية واقعية تتناسب مع كل بيئة ومجتمع في مجتمعاتنا.

- الانسياق وراء ما يبثه الإعلام من مفاهيم مغلوطة عن الأسرة والزواج ومتطلباته، وإتباع العادات والتقاليد السائدة في مجتمع معين والتي تحول دون اتخاذ قرار الزواج أحياناً مثل غلاء المهور وإرهاق المتقدم للزواج بشروط تعجيزية ناتجة عن نفخة اجتماعية كاذبة من قبل أهل الفتاة تجعله يتردد بالارتباط بشكل جدي.

- تأخير سن الزواج بطريقة مباشرة من طرف الأسرة بدعوى صغر السن أو إنهاء الدراسة بالنسبة للفتاة أو الشاب. مع أن تأجيل الزواج إلى سن معينة قد يكون ظاهرة نافعة لاستقرار الحياة الزوجية، إلا أن تأخر سن الزواج لسنوات طويلة قد يؤدي إلى خلق مشكلات اجتماعية، وخاصة للفتاة التي تتمثل في قدرتها على الإنجاب، أو بشكل أعم قدرة الزوجين في تحقيق حجم الأسرة المرغوب فيه¹.

- المغالاة في طلب المهور العالية واعتبارها رمزاً للمكانة الاجتماعية للفتاة وعائلتها، إضافة إلى المبالغة والمباهة في المظاهر الاجتماعية المرافقة لحفلات الخطوبة والزفاف في الصالات والفنادق وغير ذلك من المظاهر الاجتماعية ذات الكلفة الاقتصادية المرتفعة والتي تعد أحد معوقات الإقدام على الزواج.

- لقد حدث تغير في اتجاه سن الزواج، ففي الماضي كانت الحياة بسيطة، وتكاليف الزواج ضئيلة وحجرة واحدة كانت تكفي لإقامة أسرة، وارتباط الابن بالأب وتوفره على عمل مشترك مع العائلة، كل هذا سهل الزواج المبكر الذي يعتبر قيمة عالية في حد ذاته في الأسرة التقليدية الجزائرية. أما الآن فقد حدث العكس مع انتشار النزعة الفردية وزيادة التحرر في الحضر.

2- الأسباب الذاتية والنفسية:

لا يمكننا أن نقلق كل اللوم على المجتمع أو مؤسسات الدولة وحدها في ظاهرة تأخر سن الزواج، بل هناك أسباب ظاهرة وخفية تتعلق بالشخص المقبل على الزواج في حد ذاته، ومنها:

¹ - سعيد بن سعيد ناصر حمدان، غلاء المهور وعلاقته بتأخر الزواج لدى الشباب السعودي، "دراسة ميدانية على طلاب جامعة الملك خالد"، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، مجلة جامعة الملك خالد، المجلد الخامس - العدد العاشر 2007.

- رفض الفتاة لكل من يتقدم إليها بحجة هذا طويل وهذا قصير وهذا فقير وهذا جاهل... الخ، إلى أن تصل الفتاة إلى مرحلة تبدأ فيها بتقديم التنازلات المتتالية، والتي تنتهي بقبول أي خاطب مهما كان وضعه مطلق، متزوج، أرمل، كبير في السن، له أولاد لا يهم، المهم أنها أدركت أخيراً بأن الزواج هو سترة للبنات.

- رغبة الشاب في مجتمعا في الزواج من الفتاة الأصغر سناً، والأقل مؤنة، وهذا الأمر غير متوافر في الفتاة الجامعية التي إضافة إلى كونها لا تتمتع بالمواصفات المذكورة، فهي أعسر قياداً وطاعة لكثرة مناقشاتهما وتمسكها برأيها وخاصة في حال كونها عاملة مستقلة في تدبير أمور معيشتها. كما أن الكثير من الشباب اليوم يفضلها عاملة جميلة وثرية... الخ، وكل هذا يصعب تحقيقه في فترة زمنية معينة مما يؤدي إلى تأخر سن الزواج.

- قد تكون هناك عنوسة مختارة، وذلك عندما تصل الفتاة العاملة إلى مرحلة ترفض فيها الزواج خوفاً من أن يتحكم فيها الرجل، وهؤلاء الفتيات في الغالب هن ممن يملكن دخلاً كافياً يجعلهن في غنى عن مسؤوليات الزواج، فيعزفن عن الزواج بإرادتهن، أو يمكن أن يلجأن إلى أنواع أخرى من الزواج مثل الزواج العرفي أو زواج المسير عند أهل السنة أو إلى زواج المتعة عند الشيعة، وذلك بهدف إشباع غرائزهن من دون تحمل أي مسؤولية.

- لقد كان الشاب والفتاة في الماضي يلحمان بأن يبدها حياتهما بأبسط الإمكانيات ليكبرا مع الأيام. أما اليوم فهذا الجيل منهزم من داخله لم يحاول أن يتحدى العقبات ويهزمها، ولكنه هرب من المواجهة؛ فالخوف من المستقبل وعدم تحمل المسؤولية والتمسك بل التقيد بكل أسباب الرفاهية والكماليات... الخ كل هذا هزم روح التحدي داخلنا، وكأن كل ما مر بنا من يأس وانحزام على كافة الأصعدة قد انتقل إلى داخلنا.

- لقد دعا أستاذ الطب النفسي بجامعة الأزهر ورئيس الاتحاد العربي للجمعيات غير الحكومية للوقاية من الإدمان أحمد جمال أبو العزائم في لقاء صحافي أجهزة الإعلام والمجتمع لمراعاة شعور وأحاسيس هؤلاء الفتيات مشيراً إلى أنه قد يكون تأخر سن الزواج إيجابياً في بعض الأحيان يدفع الفتيات للتحدي وإثبات الذات. وأضاف أن هناك أسباب كثيرة لتأخر سن الزواج لدى الفتيات أهمها الخوف من الزواج نتيجة الحياة المغلقة التي تعيشها الفتاة في العديد من المجتمعات العربية وعدم وجود ضمان أسري مشيراً إلى أن مقدار التعليم ونسبة جمال الفتاة تعد أيضاً من الأسباب الأخرى للعنوسة.

وأوضح أيضاً أن الظروف الاقتصادية النفسية وتفشي البطالة قد تكون من أهم الأسباب لتأخر سن الزواج خاصة مع التطلعات الواسعة للفتيات لفتى الأحلام مؤكداً خطورة هذه المشكلة من الناحية النفسية على الفتاة التي لها في الأصل أحاسيس مرهفة وتشعر بالغيرة والحزن عندما ترى قريناتها متزوجات ومنجبات أطفال وهو ما يجعلها تشعر بالوحدة والعزلة¹.

- أستاذ علم النفس التربوي في كلية الآداب بجامعة بغداد يصف لنا التأثيرات النفسية لتأخر سن الزواج على الفرد قائلاً: "الحالة الطبيعية السوية أن يكون للإنسان البالغ شريك في الحياة لتكوين الأسرة وسط أجواء مفعمة بالطمأنينة

¹ - تأخر سن الزواج.. أسباب عديدة وآثار نفسية خطيرة!، الموقع: <http://www.balagh.com/woman/shaksi/3i0p937x.htm>، يوم:

والسعادة، وأي شيء من شأنه الحيلولة دون الوصول لهذا المطلب يعني ظهور مجموعة من الآثار السلبية، وفي حقيقة الأمر هذا الموضوع فقط أرى أنه يحتاج بحذ ذاته إلى دراسة معمقة، إلا أننا من الممكن تضيق هذه الآثار إلى ثلاثة أقسام وهي النفسية والاجتماعية والفسولوجية، فالإنسان لديه حاجة طبيعية غريزية يجب أن تشبع والإطار الصحيح لإشباعها في الزواج الرسمي المتعارف عليه في جميع المجتمعات وعلى خلاف ذلك فإن أية إعاقة لعملية إشباع هذه الغريزة من الممكن أن يولد الكثير من المضاعفات النفسية والفسولوجية والاجتماعية إلا أن تلك التأثيرات تكون متفاوتة طبقاً لجنس البالغ سواء كان ذكراً أو أنثى، وكلما تقدم العمر ومن هذه المضاعفات ظهور الكثير من العقد النفسية التي قد تؤدي إلى الانعزال والشعور بالنقص والكآبة والعصبية وأحياناً ظهور أعراض هستيرية التي قد تصل إلى الجنون في بعض الحالات، أما الآثار الفسولوجية فهي تلك التي تؤدي إلى الاضطرابات الهرمونية ومنها حالة التأثير على الوظائف الفسولوجية لأعضاء الجسم².

- هناك أيضاً أسباب ذاتية كأن يكون الشخص مصاباً بأمراض أو عقد نفسية أو صراعات داخلية، وإما أن تكون أسباب مرضية تناسلية أو غير ذلك تمنع بموجبها ذلك الشخص عن الزواج.

3- الأسباب الاقتصادية:

والتي تجعل الشباب غير قادرين على تحمل أعباء الزواج وتكاليفه الباهظة وهذا الجانب الاقتصادي يعد عنصر مهم وسبب من الأسباب التي لا يمكن أن نغفل عنها.

- سبب واقعي ويتمثل في الارتفاع الفعلي في تكاليف الزواج خاصة مع ازدياد معدلات البطالة، وعدم وجود فرص عمل حقيقية أمام الشباب، وانخفاض مستوى الدخل، وسبب صنعه المجتمع في حد ذاته وفرضه كأمر واقع وهو المغالاة في المهور واستعدادات الزواج؛ حيث غابت فكرة الأسرة التي تبدأ بحياة بسيطة، ثم تنمو تدريجياً، وتستكمل كل ما ينقص من أساسيات وكماليات مع النمو الطبيعي لدخل الأسرة، وحل محل هذه الفكرة فكرة جديدة، وهي البيت الذي يبدأ مستكماً كل أساسيات وكماليات الحياة العصرية، والغريب أن هذا النوع من المشاكل الاقتصادية يكاد يكون ممثلاً بدرجة متساوية في الدول الغنية والدول الفقيرة.

- انتشار البطالة وعدم تناسب الدخل مع الأسعار، وبالتالي يصبح الشاب غير قادر على الزواج، بالإضافة إلى الشروط التي تكاد تكون مستحيلة من قبل أهل الفتاة وكأنها سلعة تباع وتشتري، ومن بينها سكن مستقل وتجهيز الشقة وتأثيثها بأغلى أنواع الأثاث، وطالباتهم بالنسبة ليوم الفرح وحاجيات هذا اليوم إلى غير ذلك من الطلبات والشروط الزائدة وانعكاسها السلبي على المقبلين للزواج.

- التشجيع على عمل المرأة وربطه بالتنمية، والسعي إلى المساواة بينها وبين الرجل في هذا المجال، ويعتبر عمل المرأة عاملاً مهماً في انتشار العنوسة، وذلك لسببين: أولهما تزايد عدد النساء العاملات علماً أن هذا قد يتم في أحيان كثيرة على حساب توظيف الرجل الذي لا يجد فرص عمل مناسبة، كون استخدام المرأة عادة أقل كلفة من استخدام

²- ظاهرة تأخر سن الزواج، <http://www.alsabaah.com/paper>، جريدة الصباح، يومية سياسية تصدر عن شبكة الإعلام العراقي، يوم:

الرجل، مما يضطره إلى الهجرة من أجل الحصول على الأجر الكافي الذي يساعده على الزواج وتكوين الأسرة. وقد أدى تزايد عدد النساء في بعض الوظائف إلى وجود ما يسمى بظاهرة: "تأنيث الوظائف"، وثاني الأسباب الأجر الذي تجنيه المرأة والذي يؤثر سلباً على زواجها، فقد يجعلها تؤجل مشروع الزواج إلى حين وجود الشخص المناسب غير الطامع في هذا الأجر. بالإضافة إلى طمع بعض الأهل في راتب ابنتهم مما يدفعهم إلى رفض الخطّاب الذين يتقدمون إليها. وعلى الرغم من التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي طرأت على مجتمعنا في العشرية الأخيرة فإن هذه الأفكار مازالت سائدة في المجتمع إلى حد كبير.

- محاولة بعض الأسر الفقيرة مجازة وتقليد الأسر الغنية في مراسيم وشروط الزواج وما يتعلق به ابتداء من الخطبة إلى غاية إتمام الزواج، وتنافس بعض الأسر فيما بينها على مقدار المهر، وطريقة حفل الزفاف.

- في دراسة حول: "واقع مشكلة العنوسة في المجتمع الأردني وأبعادها الاقتصادية" توصل الباحث عادل لطفي بدارنه عضو الهيئة الإدارية بجمعية العفاف الخيرية إلى أن هناك عوامل عديدة وراء ارتفاع مشكلة العنوسة في المجتمع الأردني، منها: ارتفاع مستويات البطالة في سوق العمل الأردني والتي تجاوزت 13% من إجمالي القوى العاملة الأردنية للربع الأول من سنة 2005، والتصاعد المستمر في تكاليف المعيشة الذي أدى بدوره إلى تآكل دخل معظم شرائح العاملين¹.

- نقص فرص العمل المتوفرة للشباب، وانتشار البطالة بين هؤلاء ومن هنا أصبح الشباب اليوم غير قادر على مواجهة المتطلبات المتعددة للزواج. وحتى وإن توفر العمل فالدخل يبقى منخفضاً جداً مقارنة بموجة الغلاء التي نعيشها اليوم، وما يتطلبه الزواج ومراسيمه، كل هذه الأمور وغيرها تضع الشاب في موقف المغلوب على أمره وبالتالي فهي تساهم في رفع تأخر سن للزواج.

4- الأسباب السياسية:

وتتمثل في الأسباب التالية ومعظمها انبثقت عن المنظمات العالمية الإنسانية ومنظمة الأمم المتحدة:

- عدم أخذ الدولة والهيئات المسؤولة الأمر بجديّة، ولم تشعر بحجم المشكلة أو تأثيرها السلبي على المجتمع، وربما توارت المشكلة خلف ركّام من المشاكل السياسية الأخرى، وهذا أدى إلى غياب دور أساسي كانت الدولة منوطة به، ويشمل توفير فرص عمل حقيقية للشباب، وتيسير المشروعات الصغيرة، وتشجيع الشباب على الزواج المبكر بشقة بأسعار مناسبة ومشاريع توفر لهم احتياجاتهم في حدود طاقتهم.

- سن القوانين التي تدعو إلى منع تعدد الزوجات، باعتبار أن هذا يتنافى مع حقوق المرأة، حتى ولو تم بموافقة المرأة نفسها وإرادتها، من هنا جاءت الاقتراحات بتعديل "قانون الأسرة".

- إتباع سياسة تحديد النسل والتي تدعو إليها منظمة الأمم المتحدة والمنظمات الإنسانية، وتبنتها الدولة والهيئات الحاكمة، مما أدى إلى عزوف الكثير من الشباب عن الزواج والإنجاب. ونظراً لأزمة السكن وانتشار المشاكل

¹ - عادل لطفي بدارنه، واقع مشكلة العنوسة في المجتمع الأردني وأبعادها الاقتصادية، جمعية العفاف الخيرية، 2009/10/05.

الاجتماعية دفع ببعض المسؤولين إلى التشديد على أهمية تطبيق سياسة تحديد النسل، والذي يقصد به على مستوى الأسرة "إيقاف الإنجاب عند حد معين من عدد الأطفال"، وهذه السياسة التي يدعون إليها مخالفة للشريعة الإسلامية التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة"، لذلك غالباً ما يحاولون دعم موقفهم بنصوص شرعية تؤيد سياسة تنظيم الأسرة مثل الخشية على صحة الأم والطفل.

- الدعوة إلى "إباحة الإجهاض" في القوانين الوضعية، وعدم تجريم مرتكب هذا الجرم سواء كان الطبيب الذي يجري عملية الإجهاض أو المرأة التي تجهض نفسها، وأيضاً توزيع "وسائل منع الحمل" مجاناً على النساء، وخاصة في القرى النائية، وفي المناطق الريفية، التي لا زالت نسبة الإنجاب مرتفعة فيها نسبياً مقارنة بالمدن.

- دعوة بعض المنظمات العالمية إلى منع الزواج المبكر وتعقيد الإجراءات الخاصة به، ورفع سن زواج الفتاة والشباب إلى الثامنة عشر من العمر، واعتبار الولد والبنت دون هذه السن في عمر الطفولة، وقد قامت الدولة بالاستجابة لهذه الدعوات التي جاءت مغلفة في إطار اتفاقيات دولية ملزمة التنفيذ، فعملوا على رفع سن الزواج في القوانين الداخلية.

5- الأسباب التربوية والتعليمية:

ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- كشف مدير بالمحافظة العامة للتخطيط والبحث، فوزي أمقران، أن 50 بالمائة من الجزائريين الذين وصلوا إلى سن الإنجاب غير متزوجين. وقال المتحدث، خلال يوم دراسي حول صحة المرأة احتضنه المعهد الوطني للصحة العمومية بالعاصمة تزامناً مع اليوم العالمي للمرأة، إن عدد النساء اللواتي هن في سن الإنجاب (بين 15 و 49 سنة) يصل إلى 10 ملايين امرأة. وقدّر المتحدث متوسط سن الزواج عند الجنسين بـ 30 سنة، مشيراً إلى تسجيل تأخر في الزواج خلال السنوات الأخيرة نتيجة عدة عوامل، ذكر منها ارتفاع نسبة المستوى التعليمي للمرأة التي تفضل موازلة دراساتها الجامعية بدل الزواج المبكر¹.

- أصبحت الدراسة بالمدارس تجعل الفتى والفتاة حتى دخول الجامعة ليس لهم هم إلا النجاح والحصول على أعلى الدرجات، ثم فجأة يجدون أنفسهم في مواجهة الحياة، وقد حلت كل المناهج الدراسية مما يساعد الفتاة على أن تكون زوجة وأماً وربة أسرة، لم يحدثها أحد عن معنى الزواج وتبعاته، وكذلك الفتى لم يتعلم معنى المسؤولية، ومعنى أن يكون رب أسرة، ومعنى الرجولة... الخ.

- معظم الفئات المتعلمة من الشباب يرغبون في الارتباط بفتيات متعلّقات وهذا حق من حقوقهم لأن ثقافتهم حدث لها توسع بالتعليم وهذا جانب يدعونا إلى النظر إلى مشكلة تعليم الفتيات لأن تعليمهن يعود عليهن ليس فقط بالنفع المادي، وهذا بالعمل بل بالنفع الأسري والمعنوي، لأن الفتاة المتعلمة تتاح لها الفرصة في اختيار شريك حياتها بحرية أكثر من غيرها من الفتيات غير المتعلّقات.

¹ - جريدة الفجر، يومية جزائرية مستقلة، الموقع: <http://www.al-fadjr.com/ar/realite/144191.htm> ، يوم: 2010/04/08.

- ساهم ارتفاع المستوى التعليمي للسكان في الجزائر في تأخر السن عند الزواج وبالذات للإناث، فارتفاع نسبة الملتحقين بالتعليم العالي يؤدي إلى تفضيل التعليم على الزواج، فمعظم الشباب والفتيات اليوم ينتظرون حتى اكتمال الدراسة الجامعية والبعض يطمح بالدراسات العليا، فالدراسة أصبحت سلاحاً ذو حدين، حيث أنها تزيد فرصة الزواج وتقلله في نفس الوقت حيث إن التعليم يوسع تطلعات الشاب والفتاة ويغير نظرتهم ورؤيتهما إلى الزواج وبناء الأسرة . ومن هنا فإن الشاب والفتاة قد لا يرضى بمن هو أقل منه علماً وثقافة وذلك رغبة في تحقيق التكافؤ الاجتماعي من أجل إنجاح الحياة الأسرية.

- التشديد على أهمية التعليم بكل مراحله وخاصة الجامعي والعالي منه في تأخر سن الزواج، خاصة عند النساء، حيث يتقلص معدلات عمر زواجهن ومعدلات حجم الأسر التي يؤسسن، ويأتي هذا التأخير بشكل طبيعي نتيجة ارتباط كل من الشاب والفتاة بالدراسة، ويؤجل مشروع الزواج عندئذ إلى سن الـ 23 كحد أدنى للفتاة، وحتى تكون قد أنهت المرحلة الجامعية وتسلحت بالسلاح الذي يحميها من عواقب الزمان، أما بالنسبة للشباب فإن التعليم قد يؤدي إلى تأخير زواجه حتى يتجاوز الـ 25 سنة كحد أدنى، وهو السن الذي يبدأ فيه بجني ثمار علمه، كما أن أعداد كبيرة من الطلبة يفضلون التريث بضع سنين بعد التخرج من الجامعة، يتم فيها استعدادهم مادياً ومعنوياً للزواج، مع العلم أن الأجور والرواتب المدفوعة للشباب لا تسمح لهم في الغالب حتى بمجرد التفكير في الزواج.

6- الأسباب الثقافية والفكرية والإعلامية:

من بين الأسباب التي تحدث هذه المشكلة تعدد الثقافات، والتي تختلف ليس فقط على مستوى الفرد وإنما على مستوى المجتمع بأكمله فالثقافة لها دور كبير جداً إما بالسلب أو الإيجاب، فثقافة الفرد تتحكم وبشكل كبير في اختيار شريك حياته. وهذا الجانب يمكن أن نلخصه في النقاط التالية:

- من التقاليد العربية أن الفتاة ينبغي أن تتزوج عندما تصل إلى سن البلوغ، ومع ذلك فإن هذه الحالة لا تقاس بالسنين وتخضع لمرونة كبيرة، وقد كانت الفتاة تتزوج في القرن الماضي في سن التاسعة أو العاشرة، ومن الناحية الواقعية لا توجد إجراءات شرعية تمنع مثل هذا الزواج¹. أما الآن ونتيجة للتغيرات الثقافية، والنظرة للزواج والقيم المصاحبة له حدث تأخر كبير في سن الزواج.

- في الجزائر ورغم أن الدولة حاولت رفع سن الزواج إلى 18 عاماً إلا أن الكثير من الآباء، وخصوصاً في الريف يسارعون بتزويج بناتهم قبل هذه السن، ويتكون قضية تسجيل عقد الزواج حتى يبلغ عمر البنت السن القانونية². وهذا يعني أن الزواج المبكر له قيمة اجتماعية عالية عند الريفيين لاعتبارات اجتماعية وثقافية عديدة كالعفة والحفاظ على النسب والقربان... الخ، وهذا ما تؤكد أيضاً ناهدة عبد الفتاح في دراستها حول الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للأسرة والسلوك الإنجابي للمرأة في قرية جحيفة بالأردن، حيث تبين أن متوسط السن عند الزواج بالنسبة

¹ - محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص 155.

² - تركي رابح، وضعيات النساء والفتيات الجزائريات في التعليم في عهد الاحتلال وبعد الاستقلال، مجلة الثقافة صادرة عن وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، العدد 84، نوفمبر - ديسمبر 1984، ص 186.

للجنسين منخفض³. بينما في الحضر الأمر يختلف كثيراً عن الريف، حيث نجد أن قيمة تزويج الأبناء في سن مبكرة يكاد يكون منعدم، وهذا راجع إلى عدة أسباب منها انتشار النزعة الفردية التي تترك الشباب والفتاة يتبعان الأسلوب الشخصي في الاختيار للزواج. كما كشف السيد أحمد غريب أن الزواج في الريف مبكر وخاضع للتقاليد، وتميز الأسرة بكبر حجمها في القرية، على عكس المدينة التي يتأخر فيها سن الزواج نسبياً ويقل حجم الأسرة¹. وتؤيد هذه النتائج أيضاً ما توصلت إليه علياء شكري في دراستها حيث وجدت أن انخفاض سن الزواج بالنسبة للجنسين في المناطق الريفية قياساً بالمناطق الحضرية، حيث تبين أن الذين تزوجوا تحت سن العشرين في القرى بلغت نسبتهم 21.3% ذكور و 87.9% إناث، أما في الحضر فقد كانت النسبة صفرًا بالنسبة للذكور و 45.5% للإناث، كذلك وضوح ظاهرة الزواج المبكر للإناث في الريف، حيث أشارت نتائج الدراسة إلى أن المتزوجات دون السن القانونية (أقل من 16 سنة) بلغت نسبتهم في القرى 55.3%، في حين كانت النسبة في المناطق الحضرية 9.1%².

- إن الثقافة الفرعية الريفية في المجتمع الجزائري تساعد وتشجع على الزواج المبكر الذي يعمل على زيادة فترة الإنجاب لدى المرأة، وهذا الإنجاب المبكر يساعد بدوره الأم على تربية الأبناء، وهي بكامل طاقتها، كما أن شيوع مفهوم الشرف والعرض من أهم عوامل انتشار الزواج المبكر في الريف الجزائري، غير أن هذه الظاهرة بدأت بالانحسار قياساً على ما كانت عليه في الأسرة التقليدية، فمؤشرات نضوج واكتمال المرأة في الريف لم يعد لها تأثير في ظل التغيرات الاجتماعية الراهنة، كما أن الأسرة لم تعد تفكر في زواج ابنتها إلا بعد التعليم والحصول على عمل.

- أجرى هولنجشيد Hollingshead A.B عام 1949 دراسته على العوامل الثقافية في الاختيار للزواج في نيوهفن بولاية كونيتيكت Connecticut شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية على 523 زوجاً وزوجة، وتوصل من خلال هذه الدراسة إلى أن هناك ارتباط قوي بين سن الزوج وسن الزوجة في جميع مستويات العمر، لكن هذا الارتباط كان أقوى ما يكون بين الشريكين تحت سن العشرين، كما أن الرجال الذين فوق سن العشرين يميلون إلى اختيار زوجاتهم من اللائي يماثلنهم في دائرة العمر. كما توصل أيضاً إلى أن الفرد مقيد في اختياره للزواج بعدة عوامل ثقافية قد لا يشعر بها رغم حريته في اختيار الشريك، وهو ما يسميه هولنجشيد بـ: **الحتمية الثقافية** التي ترى بأن للفرد فرصة جد محدودة في الاختيار للزواج³. وهنا لا بد أن نشير أن الزواج الذي لا يراعي فارق السن بين الشباب والفتاة قد ينتج عنه مشاكل عديدة. وعلى الرغم من أن الدراسات السابقة لم تثبت وجود علاقة بين التقارب في سن

³ - ناهدة عبد الفتاح طبيشات، العلاقة بين الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للأسرة والسلوك الإنجابي للمرأة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة اليرموك، الأردن، إربد، 1992، ص 35.

¹ - أحمد غريب سيد، علم الاجتماع الريفي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص 116.

² - علياء شكري وآخرون، المرأة في الريف والحضر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص ص 422 - 425.

³ - سامية حسن الساعاتي، الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، مصر 1988، ص 138.

الزواج بين الزوجين والتوافق الزوجي، ولا بين التباعد في سنهما والتعاسة الزوجية، إلا أنه من الأفضل عدم وجود تفاوت كبير في عمر الزوجين⁴.

- الغزو ثقافي عبر وسائل الإعلام ورغبة الشباب في تقليد النموذج الغربي في العزوف عن الزواج تحت مسمى الانطلاق والحرية وعدم التقيد بوجود أسرة. ونشر الإباحية في وسائل الإعلام والتي تترك أثرها على كل من الفتاة والشباب. فالشباب يبحث عن زوجة تتوافق مواصفاتها مع المثلة كذا، والفتاة تلهث وراء وسائل التجميل للتشبه بالمغنية والمذيعة الفلانية. ولوسائل الإعلام دور آخر في موضوع العنوسة، يتمثل في المسلسلات والأفلام الأجنبية والمحلية، والتي تنقل صورة مشوهة عن الزواج وخاصة من ناحية التعدد، وتعظم في المقابل من صورة المرأة المتحررة.

- تجاهل المشكلة من طرف علماء الدين والفقهاء، وخلو الخطب والدروس الدينية من تناول للظاهرة وأسبابها وطرق العلاج، بالرغم من أننا كشعوب إسلامية عندما نتضح أمامنا الأبعاد الدينية للمشكلة تختلف طريقة تعاملنا معها، والواقع أن غياب البعد الديني ساهم كثيراً في تفاقم المشكلة، وأعني هنا النظرة الدينية الواعية التي تهتم بدراسة الأرقام والإحصاءات وكل ما يعتري المجتمع الآن من تغيرات واتجاهات، وليست مجرد مجموعة من الفتاوى المتفرقة الجامدة التي لا تتفاعل مع المجتمع.

رابعاً- المقترحات والحلول:

- 1- التشجيع على الزواج والإنجاب وذلك عن طريق تقديم الدعم الحقيقي لمشاريع الزواج وبناء الأسرة مثل توفير السكن وتقديم الدعم المادي والمعنوي للعائلة كتوفير الضمان الاجتماعي والصحي وغير ذلك.
- 2- ضرورة إحداث تغيير اجتماعي متكامل لإعادة بناء المجتمع بمؤسساته الاجتماعية ومنها العائلة وكذلك بناء شخصية المواطن نفسه وهذا يتطلب التخطيط الموجه المبني على الدراسات والبحوث العلمية التي يصبح من الممكن عن طريقها تحديد الاحتياجات والآليات التي من الممكن إيجادها عن طريق فتح المراكز العلمية للبحوث والدراسات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية مع مساهمة جميع القطاعات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني.
- 3- ضرورة التعامل مع هذه الشريحة من الشباب والفتيات بأسلوب راق وعلمي ونفسي بدلاً من تحطيمهم وسط ظروف قهريّة خارجة عن إرادتهم ولا ذنب لهم فيها ولكنها إرادة الله.
- 4- التخلي عن العادات والتقاليد البالية، أو إعادة النظر فيها، وهذا من شأنه أن يحدث حالة من التبادل الثقافي بين العائلات فيما بينها أفضل من انغلاق عائلة على نفسها، وبهذا تحل جميع المشكلات والتي كان السبب الرئيسي في حدوثها تمسك بعض الأفراد بعادات وتقاليد لا فائدة من وجودها داخل مجتمعنا، لأن المجتمع يحتاج أن يدفع للأمام وليس للخلف .

⁴ - كمال إبراهيم مرسى، العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس، دار القلم، الكويت 1991، ص 54.

العوامل السوسولوجية المؤثرة في تأخر الزواج لدى الشباب الجزائري

أ. جمال حواوسة

5- يقول عليه الصلاة والسلام : "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير"، لهذا فإننا إذا ابتعدنا عن هذا المنهج النبوي فسوف تنتشر الفتنة وينتشر الفساد بكل ألوانه، لأن تأخر سن الزواج له آثاره الخطيرة على الفرد والمجتمع.

6- يجب تجاوز المظاهر الاجتماعية الزائفة المصاحبة لعادات ومراسيم حفلات الخطبة والزفاف والتي يترتب عليها كلفة مالية مرتفعة مثل: الحفلات الباذخة، الملابس باهظة الثمن وغيرها .

7- إنشاء جمعيات خيرية لتزويج الشباب وتقديم كافة أنواع الدعم، وتعميم فكرة حفلات الزفاف الجماعية على مختلف مناطق الوطن، باعتبارها إحدى الوسائل العملية للتقليل من تكاليف الزواج، وتوفير فرص العمل للشباب حتى يتمكنوا من الزواج وإيجاد مصدر دخل يمكنهم من إتمام زواجهم، وتقديم كافة أنواع العون والدعم لهم، مثل المساكن ذات الكلفة القليلة وتقديم القروض الحسنة الميسرة وغير ذلك من أبواب المساعدة.

8- على الشباب والفتيات أن يبادروا عملياً إلى الزواج متى ما تيسر لهم أمره، وأن لا يتعلقوا بأمر مثالية، تكون حجر عثرة بينهم وبين ما ينشدون من سعادة وفلاح، ويقصدون من خير ونجاح، وأن لا يتذرعوا بما يُعبر عنه بتأمين المستقبل، ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام، أعلم أي أموت في آخرها، ولي طول على النكاح لتزوجت مخافة الفتنة".

خاتمة:

بناء على التحولات والتغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي طرأت على المجتمع الجزائري، فإن كافة المؤشرات والنتائج تدفعنا للقول بأن الإقبال على التعليم وخاصة الجامعي منه، وصعوبة الحصول على عمل، نتوقع معه أن يرتفع معدل سن الزواج مستقبلاً، ذلك أن معدل سن إنهاء الدراسة الجامعية حوالي (22 سنة)، ويضاف إليها عامين خدمة وطنية، ثم سنة للحصول على عمل، ثم (03) أو (04) سنوات من العمل، وبعد ذلك التفكير في الزواج، مما يجعل الاحتمال الأقوى لسن الزواج مستقبلاً حوالي (30 سنة).

وأخيراً نود أن تحل هذه المشكلة بمختلف الطرق، فهي ليست مشكلة الفرد والجماعة، بل يشارك فيها كافة أفراد المجتمع بمختلف شرائحه، ويجب علينا جميعاً أن نبحث عن حلول ونطبقها في أسرع وقت ممكن لأن الظاهرة تتجه إلى التفاقم، ولأن الفرد للجميع والجميع للفرد فيجب أن تكون كل مشكلة فردية قضية عامة تمم الجميع لأن ذلك يساعد على حلها بشكل كبير وحاسم.